﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١﴾ [الأحزاب: 21]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

النَّجاةُ من النِّفاقِ لا يكون إلّا بالتَّأسّي بسيِّد الخلقِ

بَعْدَ أنْ أفاضَتِ الآياتُ الكريماتُ السّابقاتُ في شَرْحِ الأحْوالِ القَبيحَةِ الَّتي كانَ عَلَيْها المُنافقونَ عِنْدَما هاجَمَتْ جُيوشُ الأحْزابِ المَدينَةَ، ووَصَفَتْهُم بِأبْشَعِ الصِّفاتِ وأبْغَضِها إلَى كُلِّ نَفْسٍ كَريمَةٍ[1]؛ ناسبَ الانتقالُ للحَديثِ عنْ مَوْقِفِ المُسْلِمينَ وما يجب عليهم، فَجاءَتِ الآيةُ بَيانًا لِما يَنْبَغي أنْ يلتَزِمَهُ المُؤْمِنونَ في ساعاتِ الشِّدَّةِ والعُسْرَةِ خُصوصًا، وسائِرِ الأوقاتِ عمومًا، فأقْبَلَ الكَلامُ عَلى خِطابِ المُؤْمِنينَ في عُمومِ جَماعَتِهِمْ؛ ثَناءً عَلى ثَباتِهِمْ وتَأسّيهِمْ بِالرَّسولِ ﷺ عَلى تَفاوُتِ دَرَجاتِهِمْ في ذَلِكَ الائْتِساءِ برسولِ اللّهِ ﷺ [2]، الَّذي جاءَ لِإنْقاذِهِم مِن كُلِّ ما يسوؤُهم، ونَبَّهَت عَلى أنَّ الَّذي يحْملُ عَلى التَّأسّي بِهِ ﷺ إنَّما هو الصِّدْقُ في الإيمانِ ولا سيَّما الإيمانُ بِالقيامَةِ، فَمَن كانَ كَذَلِكَ؛ حَمَلَهُ رَجاؤُهُ عَلى كُلِّ خَيْرٍ، ومَنَعَهُ مِن كُلِّ شَرٍّ[3].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أُسْوَةٌ﴾: (أسو) أصْلٌ واحِدٌ يَدُلُّ عَلَى المُداواةِ والإصْلاحِ، يُقالُ: أسَوْتُ الجُرْحَ؛ إذا داوَيْتُهُ، ولِذَلِكَ يُسَمَّى الطَّبيبُ الآسي، ويُقالُ: أسَوْتُ بَيْنَ القَوْمِ؛ إذا أصْلَحْتَ بَيْنَهُمْ، ومِنْ هَذا البابِ: لي في فُلانٍ أُسْوَةٌ، بضَمِّ الهَمْزَةِ وكَسْرِها، أيْ: قُدْوَةٌ، بتَثْليثِ القافِ، أيْ: إنّي أقْتَدي بِهِ، ومِنْ هَذا البابِ: آسَيْتُهُ بِنَفْسي[4]، وفُلانٌ يَأْتَسي

(1) محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط: 11/ 191.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 302.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 324.
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أسو).

بِفُلانٍ، أي: يَرْضَى لِنَفْسِهِ ما رَضيَهُ، ويَقْتَدي بِهِ، وكانَ في مِثْلِ حالِهِ، والقَوْمُ أُسْوَةٌ في هَذا الأمر، أي: حالُهم فيهِ واحِدَةٌ[1]، والأُسْوَة والإسْوَةُ: هيَ الحالَةُ الَّتي يَكونُ الإنْسانُ عَلَيْها في اتِّباعِ غَيْرِه إنْ حَسَنًا وإنْ قَبيحًا، وإنْ سارًّا وإنْ ضارًّا، ولِهَذا قالَ تَعالَى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾، فَوَصَفَها بِالحَسَنَةِ[2]، لِما فيه ﷺ مِنَ الكَمالاتِ الإنسانيَّةِ الَّتي تَهْدي إلى خيرَي الدُّنْيا والآخِرَة.

2) ﴿يَرْجُواْ﴾: (رجو) أصل يَدُلُّ عَلَى الأمَلِ، يُقالُ: رَجَوْتُ الأمْرَ أرْجوهُ رَجاءً، ثُمَّ يُتَّسَعُ في ذَلِكَ، فَرُبَّما عُبِّرَ عَنِ الخَوْفِ بِالرَّجاءِ، قالَ اللّه تَعالَى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾ [نوح: 13]، أي: لا تَخافونَ لَهُ عَظَمَةً، ويُقالُ لِلْفَرَسِ؛ إذا دَنا نِتاجُها: قَدْ أرْجَتْ تُرْجي إرْجاءً[3]، ورَجاهُ يَرْجوهُ رَجْوًا ورَجاءً ورَجاوَةً ومَرْجاةً ورَجاةً، وهمزَتُه مُنْقَلِبَةٌ عَنْ واوٍ بِدَليلِ ظُهورِها في رَجاوةٍ[4]، والمَعْنَى المَحْوَريُّ إشْرافُ الجِسْمِ القائِمِ عَلَى مَهْواةٍ فيها مادَّةٌ نافِعَةٌ - كَجَوانِبِ البِئرِ والوادي - وهذا هوَ الرَّجاءُ بِمَعْنَى الأمَلِ والطَّمَعِ؛ لأنَّ الرّاجي لَيْسَ مُطْمَئِنًّا مُتَيَقِّنًا بِحُصولِ ما يَرْجو، بَلْ تُخالِجُهُ دَرَجَةٌ مِنْ تَوَقُّعِ الحِرْمانِ، وذَلِكَ واضِحٌ في تَفْسيرِ قَوْلِه تَعالَى عَنِ المُؤْمِنِ: ﴿يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزمر: 9][5]، والرَّجاءُ ظَنٌّ يَقْتَضي حُصولَ ما فيهِ مَسَرَّةٌ[6].

المَعْنى الإجْماليُّ:

التَّأسّي برَسول اللهِ ﷺ بابُ النَّجاةِ وطريقُ الخلاصِ في الأمورِ كلِّها

تُؤَسِّسُ الآيةُ لأعظمِ مبادئِ النَّجاةِ في القرآن، وهو التزام التَّأسّي برسولِ اللّهِ ﷺ، فَهَذا أمْرٌ مِنَ اللّهِ تَعالَى بالتَّأسّي بِالنَّبيِّ

(1) ابن منظور، لسان العرب: (أسو).
(2) الراغب، مفردات القرآن: (أسو).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (رجو).
(4) ابن منظور، لسان العرب: (رجو).
(5) جبل، المعجم الاشتقاقي: (رجو).
(6) الراغب، مفردات القرآن: (رجو).

ﷺ في كلِّ الأوقات، يَوْمَ الأحْزابِ وغَيْرَهُ، في أقْوالِهِ وأفْعالِهِ وأحْوالِهِ، وصَبْرِهِ ومُصابَرَتِهِ ومُجاهَدَتِهِ وانْتِظارِ الفَرَجِ مِنْ رَبِّهِ؛ إذْ هوَ ﷺ القُدْوَةُ الصّالِحَةُ والمَثَلُ الأعْلَى الَّذي يُحْتَذَى به، إذا كُنْتُم تُريدونَ ثَوابَ اللّهِ وفَضْلَه، وتَخْشَوْنَ اللّهَ وحِسابَهُ، وتَذْكُرونَهُ ذِكْرًا كَثيرًا في اللَّيْلِ والنَّهارِ؛ حُبًّا وتَعْظيمًا لَهُ، وخَوْفًا مِنْ عِقابِهِ، وطَمَعًا في ثَوابِهِ وجَزائِه، فَإنَّ ذِكْرَهُ دافِعٌ إلَى طاعَتِه، والتَّأسّي بِرَسولِهِ، وهَذا عِتابٌ للمُتَخَلِّفينَ، وإرْشادٌ للنّاسِ جَميعًا أنْ يَتَأسّوا بِرَسولِ اللّهِ ﷺ في السَّرّاءِ والضَّرّاءِ وحينَ البَأْسِ ولِقاءِ الشُّجْعانِ ونِزالِ الأبْطالِ.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

عِلَّةُ فَصْلِ الآيَةِ عَمّا قَبْلَها:

استئنافٌ سيقَ لعتابِ المتخلِّفين وتوبيخهم والتَّمْهيد لمدحِ المؤْمنينَ

قَوْله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ مفصولٌ عمّا قبله؛ لأنَّه كلامٌ مستأنفٌ مسوقٌ لعتابِ المتخلِّفين عن القتال[1]، أو لتوبيخهم وتقريعهم؛ إذ كان الحَديثُ في الآيَةِ السّابِقَةِ حولَ رَغْبَةِ المُنافقينَ في البُدوِّ بينَ الأعرابِ فِرارًا مِنْ مواجَهَةِ الأحزابِ، ودارَ في هذه الآيةِ حولَ التَّمْهيدِ لِذِكْرِ ثَباتِ المُؤْمنينَ مَعَ رسولِ اللّهِ ﷺ في غَزْوَةِ الأحزابِ، أوْ حَولَ العِتابِ والمُلاطَفَةِ واللَّفْتِ إلَى ما كانَ يَنْبَغي أنْ يَكونَ مِنْهُم مَعَ رَسولِ اللّهِ ﷺ، فانقَطَعَتِ الصِّلَةُ المُباشِرَةُ بينَ الآيتينَ، وإنْ ظَلَّ الجامِعُ العامُّ للآياتِ مُتَّصِلًا أشَدَّ الاتِّصالِ وأحْكَمَه.

بلاغةُ التَّوكيدِ وغرضُه:

توبيخُ تاركي التَّأسّي برسولِ اللهِ ﷺ ومدحُ المتأسّين

أكَّدَ النَّظْمُ الحَكيمُ أهَمِّيَّةَ التَّأسّي بِرَسولِ اللّهِ ﷺ، في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾، فَصَدَّرَ الآيَةَ بلامِ التَّوكيدِ، الَّتي هيَ لامُ الابْتِداءِ، جيءَ بِهِ عَلَى سَبيلِ التَّوْكيدِ، أوْ هيَ جَوابُ قَسَمٍ مَحْذوفٍ[2]، كما هو المشهورُ عِنْدَ غالبِ النُّحاةِ،

(1) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 7/ 622.
(2) فاضل السامرائي، معاني النحو: 4/ 179.

و(قد) الَّذي هوَ حَرْفٌ يَدُلُّ عَلَى ثُبوتِ الأمرِ وتَحَقُّقِه[1]، وذَلِكَ للمُبالَغةِ في تَوْكيدِ هذِهِ القَضيَّةِ المِحْوَريَّةِ في حياةِ المُسْلِمينَ عامَّةً، وأصحابِ غَزْوَةِ الأحْزابِ على وجْهِ الخُصوصِ، كَما أنَّ الكَلامَ وإنْ كانَ خَبَرًا، فإنَّ اقْترانَهُ بِحَرْفَيِ التَّوْكيدِ في ﴿لَّقَدْ﴾ يومِئُ إلى تَعْريضٍ بالتَّوْبيخِ لِلَّذينَ لَمْ يَنْتَفِعوا بِالأُسْوَةِ الحَسَنَةِ مِنَ المُنافِقينَ والَّذينَ في قُلوبِهِمْ مَرَضٌ[2]، والمعنَى: واللهِ لَقَدْ كانَ لَكم في رَسولِ اللهِ خَصْلَةٌ حَسَنَةٌ مِن حَقِّها أنْ يُؤْتَسَى، ويُقْتَدَى بِها كالثَّباتِ في الحَرْبِ، ومُقاساةِ الشَّدائِدِ[3].

نكتةُ ذِكرِ فعل ﴿كَانَ﴾:

ذُكِرَ فعل ﴿كَانَ﴾ في قولِ اللهِ تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾؛ للدَّلالةِ على أنَّه ﷺ أُسْوَةٌ في نَفْسِه وفي حَدِّ ذاتِه الشَّريفَة، "فحيث أُخْبَرَ بِـ(كانَ) عَنْ صِفاتِ الآدَميّينَ، فالمرادُ التَّنْبيهُ عَلَى أنَّها فيهِ غَريزَةٌ وطَبيعَةٌ مَرْكوزَةٌ في نَفْسِه"[4]، فَهو ﷺ قُدْوَةٌ للمُسْلِمينَ بِما حَباه بِه رَبُّه ﷻ مِنَ الصِّفاتِ العَليَّةِ والسِّماتِ السَّنيَّةِ، وقَدْ عَدَلَ البَيانُ القُرْآنيُّ عنْ مُقْتَضَى الظّاهِر، فَلَمْ يقل: (رسول اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لكم)، إذا كان المُرادُ مُجَرَّدَ الدِّلالةِ على أنَّه ﷺ أُسْوَةٌ، وإنَّما ذكرَ فِعْلَ الكَوْنِ، لِما فيه منْ شِدَّةِ التَّأْكيدِ؛ فأتَى بذكرِ ﴿كَانَ﴾ على أصلِ المعنى؛ ليَسْتَقِرَّ هذا المفْهومُ في أفهامِ المخاطَبين.

النَّبيُّ ﷺ قُدْوَةٌ لِلْمُسْلِمينَ بِما أوتي مِنَ الصِّفاتِ العَليَّةِ والسِّماتِ السَّنيَّةِ

غرضُ تَقْديمِ الجارِّ والمَجْرورِ:

قُدِّمَ ذكرُ الجارِّ والمَجْرورِ ﴿لَكُمْ﴾ في قولِ اللهِ تَبارَكَتْ آلاؤه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾؛ للاهْتِمامِ ولفتِ الأنظارِ لخصوصيَّة تأسّي المؤمنين بِرَسولِ اللهِ ﷺ، ففيه مدْحٌ للمتأسّين

التَّعريضُ بشأنِ المنافقين بتركِ التَّأسّي واقترافِ التَّجنّي

(1) الزركشي، البرهان: 4/ 305.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 302.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 11/ 164.
(4) فاضل السامرائي، معاني النحو: 1/ 215.

وتعريضٌ بالمخالفين من المنافقين ومَن على شاكلتهم، فَهوَ وإنْ كانَ أُسْوَةً للخَلْقِ أجْمَعينَ لِما فيهِ من الكَمالاتِ الإنْسانيَّةِ والفَضائلِ البَشَريَّةِ، فإنَّ المُسلمينَ يَجِبُ أنْ يَكونوا أشدَّ الخلقِ تأسّيًا بِهِ ﷺ .

بلاغةُ فنِّ التَّجريدِ في استعمالِ حرفِ الظَّرْفيَّةِ:

رَسـولُ اللـهِ ﷺ ذاتُـه قُـدْوَةٌ فكأنَّه تجرَّد من كـلِّ صفة لهذه الصِّفةِ

جاء استعمالُ حرفِ الظَّرفيَّة أخّاذًا في قَوْلِهِ تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾، فَلَمْ يَقل: (لَقَدْ كانَ رَسولُ اللّه أُسْوَةً حَسَنَةً لَكُمْ)، فآثَرَ النَّظمُ استعمالَ حرفِ الظَّرْفيَّة؛ للدِّلالَةِ على أنَّ رسولَ اللّه ﷺ هوَ في نَفْسِه قُدْوَة، وهَذا يُعْطي ضَرْبًا مِنَ المُبالَغَةِ في وصْفِه ﷺ بِهَذِهِ الصِّفَةِ، أيْ: كَوْنُه أهْلًا لِأنْ يُقْتَدَى بِهِ، فقد بَلَغَ في هذا الوَصْفِ مَبْلَغًا صَحَّ مَعَهُ أنْ يُنْزَعَ مِنْهُ قُدْوَةٌ، كَقَوْلِهم: لي مِنْ فُلانٍ صَديقٌ حَميمٌ، فَتُفيدُ أنَّهُ بَلَغَ مِنَ الصَّداقَةِ مَبْلَغًا صَحَّ مَعَه أنَّهُ يُسْتَخْلَصُ مِنْهُ صَديقٌ آخَرُ، وهذا لَوْنٌ مِنْ ألْوانِ البَديعِ يُسَمَّى (التَّجْريدَ)، وهوَ أنْ يَنْتَزِعَ مِنْ أمْرٍ ذي صِفَةٍ أمرًا آخَرَ مِثْلَهُ، في تلكَ الصِّفَةِ مُبالَغَةً في كَمالِها فيه، نَحْوَ: لَقيتُ مِنهُ أسَدًا، وهو كَما يَكونُ بِمَعْنى (مِنْ) يَكونُ بِمَعْنى (في)؛ إذْ يُجَرَّدُ مِنَ المَوْصوفِ بصفةٍ مَوْصوفٍ مِثلِهِ؛ ليَكونَ كَذاتَيْنِ، فأفادتْ صِنْعَةُ التَّجْريدِ أنَّ رَسولَ اللّهِ ﷺ لِخُصوبَةِ نفسِه، ولِوَفْرَةِ الخَيْرِ في مَعْدِنِه، ولِفَرْطِ كَرَمِ شَمائِلِه، يَصِحُّ في الخَيالِ أنْ يَكونَ في ذاتِه ذَواتًا، كلٌّ مِنْها صالِحٌ؛ لأنْ يُقْتَدَى بِها[1]، والآيَةُ وإنْ سيقَتْ لِلاقْتِداءِ بِهِ ﷺ في أمْرِ الحَرْبِ مِنَ الثَّباتِ ونَحْوِهِ، فَهي عامَّةٌ في كُلِّ أفْعالِهِ صَلّى اللّه تَعالى عليه وسَلَّمَ إذا لَمْ يُعْلَمْ أنَّها مِن خُصوصيّاتِهِ ﷺ[2].

نكتةُ إيثارِ لفظِ الرِّسالةِ على النُّبوَّة:

آثَرَ النَّظْمُ الحَكيمُ إظهارَ نعتِ الرِّسالة دون نعتِ النُّبوَّةِ عِنْدَ ذِكْرِ

(1) محمد أبو موسى، من أسرار التعبير القرآني، دراسة تحليلية لسورة الأحزاب، ص: 157 - 158.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 11/ 164.

خاصيَّةِ التَّأسّي في قَوْلِ اللّهِ تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾، وذَلِكَ لما اختصَّ به وصفُ الرِّسالة من تبليغ الدَّعوةِ والأمر بالعملِ بها، ولمّا كانَ مَقامُ الرِّسالَةِ أخصَّ مِنْ مَقامِ النُّبوَّة؛ فقَدْ آثَرَ البيانُ القُرْآنيُّ التَّعبيرَ بمقامِ الرِّسالةِ؛ إذْ هوَ أوْلَى بالذِّكْرِ في مَقامِ ائْتِساءِ الخلقِ بِهِ ﷺ، وبه يتبيَّن أنَّ الأسوة تكون لما فيه جانب التَّبليغ والعمل بالرِّسالة.

سـيـاقُ الأمـر بـالـتَّـكـالـيـفِ يُـناسبُه مَـقـامُ الرِّسالَةِ لا سيَّما في مَقامِ الأسوةِ

فائدةُ إضافَةِ لفظِ ﴿رَسُولِ﴾ إلَى لَفْظِ الجَلالَةِ ﴿ٱللَّهِ﴾:

في قَوْلِ اللّهِ تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ أضافَ النَّظْمُ لفظَ ﴿رَسُولِ﴾ إلى لَفْظِ الجَلالَةِ ﴿ٱللَّهِ﴾، وعَدَلَ عنْ تعريفِه بـ(أل)، كأن يقول: (لَقَدْ كانَ لَكُمْ في الرَّسولِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ)؛ وذَلِكَ لِما في الإضافَةِ إلَى لَفْظِ الجَلالَةِ مِنْ مَعْنَى التَّشْريفِ والتَّوقيرِ والتَّكْريم والتَّنْويه بِمَكانَته ﷺ، وما في ذَلِكَ مِنَ البَعْثِ على الائتساء بِهِ في كُلِّ أقْوالِه وأفْعالِه وتَقْريراته، وسائرِ أُمورِه، فإنَّما يُؤتسى به؛ لأنَّه رسولٌ من اللّه تعالى للنّاس، يحمل رسالة ربِّه للعالمين.

تـعـلـيـلُ الأمـرِ بـالائـتـسـاءِ والاقـتـداءِ في كونه رسولًا من الله تعالى

سِرُّ التَّعْبيرِ بِـ﴿أُسْوَةٌ﴾ دونَ القُدْوَةِ:

آثَرَ النَّظْمُ الحَكيمُ في قَوْلِ اللّهِ تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ استعمالَ مفردة الأُسْوَةِ دونَ القُدْوَةِ؛ وذلك لأنَّ التَّأسّيَ أشَدُّ في بابِهِ مِنَ الاقْتداء، كَما أنَّ التَّأسّي يَجْعَلُ مَعْنَى الالتزام مِنَ الآخر بِشَكْلٍ أقْوَى، ومِنَ الفُروقِ الدَّقيقَةِ أنَّ الأُسْوَةَ عَوْدَةٌ مِنْ ضَعْفٍ بِطَريقِ المُماثَلَة؛ إذِ الأُسْوَةُ أصْلٌ يَدُلُّ عَلَى المُداواةِ والإصْلاحِ، فَبِذَلِكَ يُفْتَرَضُ في المُتأسّي نَوْعٌ مِنَ الضَّعْفِ، وهو بحاجَةٍ إلى المُداواةِ والإصْلاحِ، وهوَ مُلاحَظٌ في المَواضِعِ الَّتي وَرَدَ فيها ذِكْرُ الأُسْوَةِ في القرآنِ الكريم، وهيَ ثَلاثَةُ مَواضِع، المَوْضِعُ الأوَّلُ في سورَةِ الأحْزابِ، وهوَ قولُ اللّهِ تبارَكَتْ آلاؤه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾، والمَوْضِعانِ الآخرانِ

الأمـرُ بـالأُسْـوَةِ يكون في الأمور الـتـي تُـخـشى معها المخالفةُ بخلافِ القدوة

في سورةِ المُمْتَحنَة، وهُما قول اللّه تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: 4]، وقَوْلُه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾ [الممتحنة: 6]، وفي السّورتينِ توجيهٌ لِخَلَلٍ وقَعَ مِنْ بعْضِ المُسْلِمينَ، ففي سورةِ الأحزابِ تَخَلَّفَ بَعْضُ المُسْلِمينَ عن القِتالِ معَ رسول اللّه ﷺ، وفي سورةِ المُمْتَحَنَةِ والَى بَعْضُ المُسلِمينَ بعْضَ الكُفّارِ موالاةً حَرْبيَّةً، فَكانَ التَّوْجيهُ في السّورَتَينِ بضَرورَةِ الائْتِساءِ بالأمْثِلَةِ العُلْيا، وهُمُ النَّبيُّ ﷺ في سورةِ الأحْزابِ، وإبراهيمُ عليه السلام ومنْ بَعْدَه مِنَ الأنبياءِ في سورةِ المُمْتَحَنَةِ، فالأُسْوَةُ تُقالُ لِمَنْ ظَهَرَ مِنْهُم ضَعْفٌ أوْ تَقْصيرٌ في سُلوكٍ ما.

وأمّا الاقتداءُ؛ فَلا يَقْتَضي الضَّعْفَ، ويُعَبِّرُ عن الاتِّصالِ والارتِباطِ والامْتِدادِ لأُناسٍ سابِقينَ يُعَدّونَ أصْلًا، كَما في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ﴾ [الأنعام: 90]، فالمَأْمورُ بالاقْتِداءِ هوَ النَّبيُّ ﷺ، وهوَ أفْضَلُ الخَلْقِ جَميعًا، فجاءَ النَّظْمُ هُنالِكَ بالاقْتِداءِ، بَعْدَ ذِكْرِ سَبْعَةَ عَشَرَ نَبيًّا من أنْبياءِ اللّهِ صَلَواتُ اللّهِ وسَلامُه عليْهِم أجْمَعينَ، الَّذينَ هُمْ مَعالِمُ الهُدى للخَلْقِ أجْمَعينَ؛ للدَّلالَةِ على المَنْهَجِ والسُّلوكِ.

غرضُ تنكيرِ ﴿أُسْوَةٌ﴾:

تَعْظيمُ مقامِ التَّأسّي بِرَسولِ اللهِ ﷺ، وعَدَمُ حَصْرِه في مَلْمَحٍ دونَ غَيْرِه

جاءتْ كَلِمَةُ ﴿أُسْوَةٌ﴾ نَكِرَةً في قولِ اللّهِ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾، وذلِكَ لِما في التَّنْكيرِ في هذا المَقامِ مِنَ التَّعْظيمِ والمُبالَغَةِ، فَهوَ ﷺ أعْلى النّاسِ قَدْرًا، كَما أنَّ في التَّنْكيرِ إفادَةً للإطْلاقِ ولِعَدَمِ انْحِصارِ مَقامِ الاقْتِداءِ بِه ﷺ في مَلْمَحٍ بعَيْنِه مِنْ مَلامِحِ حَياتِه وصِفاتِه، فَإنَّه ﷺ تَجْسيدٌ للمُثُلِ العالِيةِ، والقُدْوَةِ الحَسَنَةِ، فَهيَ ماثِلَةٌ أمامَكُم لَوْ شِئْتُم، فَتَحْتَذونَ بالرَّسولِ في أعْمالِه[1].

(1) أحمد المراغي، تفسير المراغي: 21/ 136.

دلالةُ وصْفِ الأُسْوَةِ بِـ﴿حَسَنَةٌ﴾:

مِنْ تَمامِ الأُسْوَةِ أنْ تَكونَ نَقيَّةً رَقيقةً شَفّافَةً تُرغِّبُ المؤتَسي بها

آثَرَ النَّظْمُ الحَكيمُ في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ وصْفَ الأُسْوَةِ بالحُسْنِ دونَ مرادفاتِها كالطَّيِّبةِ؛ لأنَّ حُسْنَ الشَّيءِ هوَ نَقاؤُهُ ورِقَّتُهُ بِخُروجِ الخَشِنِ أوِ الغَليظِ، الَّذي يُخالِطُهُ، فَيَشوبُ رِقَّتَهُ[1]، ويُعْرَفُ بأنَّه عِبارَةٌ عَنْ كُلِّ مُبْهِجٍ مَرْغوبٍ فيهِ[2]، ولذلك فاختيارُ هذا الوصفِ هو الأَنْسَبُ لِلْمرادِ منَ الآيةِ بأنْ توصَفَ الأسوة بالحُسْنِ؛ إذْ مِنْ تَمامِ الأُسْوَةِ أنْ تَكونَ نَقيَّةً رَقيقَةً شَفّافَةً، بحيثُ يُمكِنُ لِلْمُؤتسي أنْ يَتَّبِعَها دونَ شَطَطٍ أوْ خطأٍ، والمُرادُ بالأُسْوَةِ الحَسَنَةِ القُدْوَةُ العَظيمَةُ برَسولِ اللّهِ ﷺ بأنْ يَجْتَهِدَ المؤمِنُ في أنْ يُسَوِّيَ نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ، فَيَكونَ مَعَهُ في كُلِّ أمْرٍ يَكونُ فيهِ، لا يَخْتَلِفُ عَنْهُ أصْلًا، وذَلِكَ بِالصَّبْرِ عَلى الجِراحِ في نَفْسِهِ، وجَميعِ ما كانَ يَفْعَلُ في مُقاساةِ الشَّدائِدِ، ولِقاءِ الأقْرانِ، والنَّصيحَةِ لِلّهِ، ولِنَفْسِهِ، ولِلْمُؤْمِنينَ[3].

نوعُ اللّامِ ودلالتُها:

التَّأسّي بِرَسولِ اللّهِ ﷺ لا يَتَأتّى إلّا لِفِئَةٍ مَخْصوصَةٍ مرضيَّةٍ

جاءتِ اللامُ في قَوْلِ اللّهِ ﷻ: ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾ دالَّةً على الاختصاصِ بالشَّيْءِ عَلَى نَحْوٍ مُسْتَحَقٍّ؛ لأنَّ حُسْنَ التَّأسّي برَسولِ اللّهِ ﷺ لا يَتَأتّى لأيِّ أحَدٍ، وإنَّما هوَ لِفِئَةٍ مَخْصوصَةٍ منَ النّاسِ عامَّةً، ومِنَ المُسْلِمينَ خاصَّةً، وهُمُ الَّذينَ يَرْجونَ لِقاءَ اللّهِ، ويَخافونَ عِقابَهُ[4].

الموقعُ الإعرابيُّ لـ(من):

مِن خصائصِ نظمِ القرآنِ الإجمالُ قبلَ البيانِ

(مَنْ) في قوله تعالى: ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾ اسم موصول، بَدَلٌ مِنَ الضَّميرِ في ﴿لَكُمْ﴾ بَدَلَ بَعْضٍ مِن كُلٍّ، أوْ بدل

(1) جبل، المعجم الاشتقاقي: (حسن).
(2) الراغب، مفردات القرآن: (حسن).
(3) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 324.
(4) محمد أبو موسى، من أسرار التعبير القرآني، دراسة تحليلية لسورة الأحزاب، ص: 156.

شِبْهِ الاشْتِمالِ؛ لِأنَّ المُخاطَبينَ بِضَميرِ ﴿لَكُمْ﴾ يَشْتَمِلونَ عَلى مَن يَرْجونَ اللّه واليَوْمَ الآخِرَ، أوْ هو بَدَلٌ مُطابِقٌ إنْ كانَ المُرادُ بِضَميرِ ﴿لَكُمْ﴾ خُصوصَ المُؤْمِنينَ[1]، والفائِدَةُ فيهِ الحَثُّ عَلى التَّأسّي، أو أنْ يَكونَ ﴿لِّمَن﴾ مُتَعَلِّقًا بصفةِ ﴿حَسَنَةٌ﴾، أوْ بِمَحْذوفٍ وقَعَ صِفَةً لَها؛ لِأنَّهُ وقَعَ بَعْدَ نَكِرَةٍ، وقيلَ: يَجوزُ أنْ يَكونَ صِفَةً لـ﴿أُسْوَةٌ﴾[2].

دَلالَةُ إعادَةِ ذِكرِ اللّامِ:

تـوكـيـدُ مـدحِ المُـؤمـنـين وذمّ المنافقين بصفاتِ الاعتقادِ

أعادَ النَّظْمُ الحكيمُ ذِكْرَ اللامِ في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾، بعدَ أنْ سَبقَ ذِكْرُها في قولِه تعالى: ﴿لَكُمْ﴾؛ تَوْكيدًا لِلّامِ الَّتي في المُبْدَلِ مِنهُ مِثْلَ قَوْلِهِ تَعالى: ﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا﴾ [المائدة: 114]، وفي إعادَةِ اللّامِ في البَدَلِ تَكْثيرٌ لِلْمَعاني المَذْكورَةِ بِكَثْرَةِ الاحْتِمالاتِ، وكُلٌّ يَأْخُذُ حَظَّهُ مِنها، فالَّذينَ ائْتَسَوا بِالرَّسولِ ﷺ يَوْمَئِذٍ ثَبَتَ لَهم أنَّهم مِمَّنْ يَرْجونَ اللّه واليَوْمَ الآخِرَ، وذَكَروا اللّه كَثيرًا، وفيهِ تَعْريضٌ بِفَريقٍ مِنَ الَّذينَ صَدَّهم عَنِ الائْتِساءِ بِهِ مِمَّنْ كانوا مُنافِقينَ، أوْ في قُلوبِهِمْ مَرَضٌ مِنَ الشَّكِّ في الدّينِ[3].

غرضُ ذِكرِ ﴿كَانَ﴾:

تـوكـيـدُ المعنى المذكورِ بتشييدِ الوصفِ المزبورِ

ذُكِرَ فعلُ ﴿كَانَ﴾ في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾؛ لِما في التَّعْبيرِ بِهِ مِنْ شِدَّةِ التَّأْكيدِ عَلَى المَعْنَى؛ إذِ الأصْلُ في (كانَ) أنْ يَكونَ دالًّا على المُضيِّ والانْقِطاعِ، ولَكِنَّه قَدْ يأْتي لِغَيرِ الدَّلالَةِ على المُضيِّ، فَيَكونُ دالًّا على الأزْمِنَةِ الثَّلاثَةِ، فَيَكونُ بِمَعْنَى الأزَلِ والأبَدِ، وحينَئِذٍ يَأْتي لِتَوكيدِ المَعْنى المُرادِ[4]، فأتَى البيانُ القرآنيُّ بِالفِعْلِ ﴿كَانَ﴾ زيادَةً على أصلِ المَعْنَى المُرادِ، وهو (لمن

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 303.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 11/ 165.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 303.
(4) محمد أبو الفتوح، أسلوب التوكيد في القرآن الكريم، ص: 226.

يرجو اللّهَ واليومَ الآخر)؛ للدَّلالة على إخلاصِ المُتأسّي في خَشْيَتِه للّهِ تعالى، وأنَّه لا يَصِلُ العَبْدُ إلى مَرحَلَةِ التَّأسّي بالنَّبيِّ ﷺ إلّا إذا أخلَصَ في إيمانِهِ باللّه ورَجائِه الدّارَ الآخِرَةَ.

بلاغةُ استعمالِ مفردةِ الرَّجاء:

اختيارُ الألفاظِ تابعٌ لمقتضياتِ السّياقِ

أتى استعمالُ مفردةِ الرَّجاءِ في قَوْلِ اللّهِ تعالى: ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾ دون الخوفِ؛ لأنَّ الرَّجاءَ في القرآنِ غالبًا ما يَكونُ في الطَّمَعِ في الفَضْلِ والعَفْوِ والرَّحْمَةِ، فَهوَ طَلَبُ أمْرٍ مَحْبوبٍ، ويَقومُ عَلَى غَلَبَةِ الظَّنّ لا الوَهْم، وهذا هوَ الرَّجاءُ بِمَعْنَى الأمَلِ والطَّمَعِ؛ لأنَّ الراجي لَيْسَ مُطْمَئِنًّا مُتَيَقِّنًا بِحُصولِ ما يَرْجو، بَلْ تُخالِجُهُ دَرَجَةٌ مِنْ تَوَقُّعِ الحِرْمانِ[1]، وهوَ مَعْنَى قَوْلِهم: (المؤْمنُ بين الخَوْفِ والرَّجاء)، فَهوَ لا يَنْفَكُّ عنْ إحدَى الحالتين، وقَدْ آثَرَ النَّظْمُ الحَكيمُ التَّعْبيرَ بالرَّجاء لِما يَحْمِلُه الخَوفُ من مَعاني الهَمِّ والقَلَقِ والحُزْنِ، والمَقامُ في الآيةِ الكَريمَةِ مَقامُ مَدْحٍ بالإيمانِ واسْتِبْشارٍ بالتَّأسّي برسولِ اللّهِ ﷺ، فَناسَبَهُ التَّعبيرُ بالرَّجاء دونَ الخوفِ، فالآيةُ في التَّرغيبِ الظّاهر للمؤمنين.

دلالَةُ التَّعْبيرِ بِصيغةِ المُضارِعِ:

تَجَدُّدُ رجاءِ المؤْمِنِ واسْتِمْرارُ أمَلِه دليلُ الإيمانِ

في قَوْلِ اللّهِ تعالى: ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾ عَبَّرَ النَّظْمُ الحكيمُ بالفِعْلِ ﴿يَرْجُواْ﴾ في صيغَةِ المُضارَعةِ للدَّلالَةِ على تَجَدُّدِ رجاءِ المُؤْمِنِ، واسْتِمْرارِ أمَلِه في عَطاءِ اللّهِ وفَضْلِه، فليسَ المُؤْمِنُ يَرْجو مَرَّةً واحِدةً، ثُمَّ يَنْقَطِعُ عنِ الرَّجاءِ، بَلْ هوَ مُسْتَمِرٌّ في التَّوَجُّهِ إلى اللّهِ سُبْحانَه بالضَّراعَةِ أنْ يَكونَ مِنَ الفائِزينَ في الدُّنْيا والآخرةِ، فَهوَ لا يَنْفَكُّ عنْ مَقامِ الرَّجاءِ بالاعْتِقادِ الصحيحِ والعَمَلِ الصالحِ، وسلوكِ الصِّراطِ المُسْتَقيمِ.

(1) جبل، المعجم الاشتقاقي: (خوف).

دَلالَةُ التَّعْبيرِ بِلَفْظِ الجَلالَةِ ﴿ٱللَّهَ﴾ دونَ (الرَّبِّ):

التّأسّي هو البرهانُ الواضحُ على التزامِ معالم العبوديَّة

آثَرَ النَّظْمُ الحكيمُ في قَوْلِ اللهِ تعالى: ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾ التَّعْبيرَ بِلَفْظِ الأُلوهيَّةِ دونَ الرُّبوبيَّةِ؛ لمناسبَةِ لَفْظِ الأُلوهيَّةِ لِهَذا السّياقِ؛ إذِ الرَّبُّ هوَ المُرَبّي، والمالكُ، والسَّيِّدُ، والمدبِّر، والقيِّم، والمُنْعِم، وهيَ صِفاتٌ عَظيمَةٌ، ولَكِنَّ ذكرَ صِفاتِ الأُلوهيَّةِ - وهوَ الانفرادُ بالعُبوديَّةِ - أَنْسَبُ في هذا السّياقِ من التَّعبيرِ بالرُّبوبيَّةِ، فالآيةُ إنَّما تَحُثُّ المُؤْمِنينَ على التَّأسّي برسولِ اللهِ في حُسنِ تَعَبُّدِه للهِ سُبْحانَه بإخلاصِ الجِهادِ لهُ والصَّبْرِ على مَشاقِّ الدَّعْوَةِ، فَكانَ التَّعبيرُ بالأُلوهيَّةِ أنسبَ وأقْرَبَ في التَّعبيرِ عنِ المُرادِ.

غرضُ ذكرِ (اليومِ الآخر):

النَّجاةُ يومَ القيامةِ الغايَةُ القُصْوى وهي مِعيارُ الفَوْزِ والفَلاحِ

بعْدَ ذِكرِ التَّأسّي برسولِ اللهِ ﷺ، أناطَ النَّظْمُ الحكيمُ في قَولِ اللهِ تعالى: ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾ إرادَةَ التَّأسّي بالرَّجاءِ في ثوابِ اللهِ تعالى، واقْتَصَرَ على ذكرِ اليومِ الآخرِ؛ لأنَّ النَّجاةَ في هذا اليومِ العَظيمِ هيَ الغايَةُ القُصْوى لِكُلِّ مؤْمِنٍ، وهي مِعيارُ الفَوْزِ والفَلاحِ، فَكُلُّ فِعْلٍ من أفعالِه وقولٍ من أقْوالِه إنَّما هوَ مَقْصودٌ لهذا اليومِ، ولذا كانَ الاقْتِصارُ على ذِكْرِه كافيًا للحثِّ على حُسنِ التَّأسّي برسولِ اللهِ ﷺ.

دَلالَةُ الواوِ في قوله: ﴿وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾:

ذِكْرُ اللهِ تعالى يُعينُ راجي الله واليومَ الآخرَ على التَّأسّي والاقتداءِ

جاءتِ الواوُ عاطِفَةً في قولِ اللهِ تعالى: ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾، فوَصَلَ النَّظْمُ بها بينَ الجُمْلَتينِ لاتِّحادهما في الخبريَّةِ لفظًا ومَعْنًى، فَكِلتاهما حثٌّ على التَّمسُّك بإحدَى خَصائصِ الإيمانِ، وقدْ قَرَنَ البيانُ القُرْآنيُّ بالرَّجاءِ ذِكْرَ اللهِ؛ لما فيه مِنَ الإشارةِ إلى ما يُعينُ على التَّأسّي والاقتداء؛ لأنَّ ذِكْرَ اللهِ استحْضارٌ لجلالِه سُبحانَه، بحيثُ يَمْتَلِئُ القلْبُ بهيبَتِه وسُلْطانِه، وقدْ عقَّبَ النَّظْمُ الحَكيمُ على ذكرِ الرَّجاءِ بِذِكْرِ اللهِ؛ لأنَّ المُثابَرَةَ

عَلى ذِكْرِهِ تَعالى تُؤَدّي إلى مُلازَمَةِ الطّاعَةِ، وبِها يَتَحَقَّقُ الائْتِساءُ بِرَسولِ اللّه ﷺ، فالذِّكْرُ يَمْلَأُ القلبَ بِهيبَةِ اللّهِ، حتَّى لا يَبْقَى مَكانٌ في القَلْبِ لغيره، فلا هَيْبَةَ إلّا هيبتُهُ، ولا سُلْطانَ إلّا سلطانُهُ، وبهذا تتكوَّنُ الطاقةُ الكُبْرى في نفسِ الذّاكِرِ الحنيفِ[1].

دلالةُ التَّعبير بالذِّكر:

الـذِّكْـرُ أعـمُّ الـعـبـاداتِ وأشملها فبذكره تُستحضرُ سائرُ العباداتِ

عَبَّرَ النَّظْمُ في قَولِه تعالى: ﴿وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ بالذِّكْرِ عُمومًا دونَ التَّسْبيحِ أو التَّهْليلِ ونحوهما؛ لأنَّ في لفظِ الذِّكْرِ مِنَ العموم ما يقوم مقام كلِّ ذلكَ، كما أنَّ الذِّكْرَ يَكونُ مُنْفَرِدًا ويَكونُ في كثيرٍ من العباداتِ، فالمُصَلّي ذاكرٌ، والحاجُّ ذاكِرٌ، وقارئُ القرآنِ ذاكرٌ، وذِكر اللّه تعالى يدلُّ على استحضار الذّاكر عَظَمَةَ ربِّه ورَجاءَ ثَوابِه، فَلا يَغفَل عن التَّقرُّب إليه، والعمل الصّالح الذي به يرجو الدّار الآخرة.

دَلالَةُ التَّعْبيرِ بِالماضي:

ذِكْـرُ الله تعالى صِـفَـةٌ ثـابِـتَـة مُـتَـحَـقِّـقَـة في المؤمنِ

في قَولِه تعالى: ﴿وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ جاءَ التَّعبيرُ بصيغَةِ المُضيِّ في الفِعْلِ ﴿وَذَكَرَ﴾ دونَ صيغةِ المُضارَعَةِ (يَذْكُرُ)، وذلكَ للدَّلالَةِ على ثُبوتِ فعلِ الذِّكْرِ وتَحَقُّقِه في المؤمن، وعلى كَوْنِه صِفَةً ثابِتَةً مُتَحَقِّقَةً فيه، فَهوَ قدْ ذَكَرَ اللّهَ في الماضي، وداوم على ذِكْرِه في الحالِ، وهو ذاكِرٌ له في المُسْتَقْبَلِ، فَهو أنيسُه وسميرُهُ على الدَّوامِ.

دلالَةُ استعمالِ عنوان الألوهيَّةِ مَعَ مقامِ الذِّكْرِ:

الـذِّكْـرُ أعـظـمُ الـعـبـاداتِ، والعبادةُ أخَصُّ صِفاتِ الأُلوهيَّة

في قَولِه تعالى: ﴿وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ آثَرَ النَّظْمُ الحكيمُ التَّعْبيرَ بِلَفْظِ الأُلوهيَّةِ دونَ الرُّبوبيَّةِ، لمناسبَةِ لَفْظِ الأُلوهيَّةِ لِهَذا السّياقِ، فالآيةُ إنَّما تَمْتَدِحُ المُتأسّينَ بِرَسولِ اللّهِ بأنَّهُم أهلُ الذِّكْرِ للّه، "والذِّكْرُ هوَ الغَرَضُ المَقْصودُ مِنَ العباداتِ كُلِّها، فَإنَّها ما شُرِعَتْ إلّا لِتُعينَ على ذكرِ اللّهِ، كما قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾﴾ [طه: 14]، وقَدْ وعَدَ اللّهُ بِذِكْرِ مَنْ يَذْكُرُهُ كَما تَوَعَّدَ بِنِسْيانِ من ينْساه، نحو

(1) محمد أبو موسى، من أسرار التعبير القرآني، دراسة تحليلية لسورة الأحزاب، ص: 158 - 160.

قوله تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ١٥٢﴾ [البقرة: 152]"[1]، ولِذَلِكَ كانَ التَّعبيرُ بالأُلوهيَّةِ أنسبَ لِمقامِ التَّعَبُّدِ.

دلالَةُ حَذْفِ المَوصوفِ:

تعـدُّدُ الإعـراب دلـيـلُ سـعـةِ المعنى

في قَولِه تعالى: ﴿وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ حَذَفَ النَّظْمُ الحَكيمُ الموصوفَ المرادَ بـ﴿كَثِيرًا﴾، وقدْ ذَكَر المُعْربونَ في إعرابِ ﴿كَثِيرًا﴾ عددًا من الوجوهِ، **الأوَّل:** أنَّها نائبٌ عن مفعولٍ مطلقٍ صفةٌ لمصدرٍ محذوفٍ، أي: ذَكَرَ اللهَ ذِكْرًا كَثيرًا، **والثاني:** أنَّها نائبٌ عن الظَّرفِ صفةٌ لظرفٍ محذوفٍ، أي: ذَكَرَ اللهَ وقْتًا كثيرًا، والثالثُ: أنَّها حالٌ مِنَ الذِّكْرِ[2]، وسواءٌ أكانَ الموصوفُ المحذوفُ مصدرًا أم ظرفًا أم حالًا؛ فإنَّ الغرضَ من هذا الحذفِ إفادةُ العموم، والدَّلالة على كَثْرَةِ الذِّكْرِ وتطاولِ وقْتِه وحسنِ حالِه، "وقَرَنَ سُبْحانَهُ بالرَّجاءِ كَثْرَةَ الذِّكْرِ؛ لأنَّ المُثابَرَةَ عَلى كَثْرَةِ ذِكْرِهِ ﷺ تُؤَدّي إلى مُلازَمَةِ الطّاعَةِ، وبِها يَتَحَقَّقُ الائْتِساءُ بِرَسولِ اللهِ ﷺ"[3]، فالذّاكر يذكر الله ذكرًا كثيرًا في الوقتِ كلِّه، وفي الأحوالِ كلِّها، فتعدُّدُ الإعراب دليلُ سَعة المعنى.

(1) حمد الحريقي، التوحيد وأثره في حياة المسلم، ص: 56.
(2) الخطيب وآخرون، التفصيل في إعراب آيات التنزيل: 21/ 246.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 11/ 165.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والأربعون،
سورة لقمان من الآية 21 إلى سورة الأحزاب الآية 25
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2025م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2025م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والأربعون، سورة لقمان من الآية 21 إلى سورة الأحزاب الآية 25
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2025.
مج. 44 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-97-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 44 : المجلد الرابع والأربعون، سورة لقمان من الآية 21 إلى سورة الأحزاب الآية 25.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-97-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4197137 بتاريخ 2025/01/02م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»